مجلـــة بـدايـــات
Email :bidayat@lagh-univ.dz Revue :Bidayate ISSN: 2676-198X
المجلد: الثاني(02) / العدد: الثاني(02) / نوفمبر 2020/ ص ص: 28-45

مقامات الضمير وظاهرة الإلتفات في الخطاب القرآني

The pronoun and the phenomenon of Anacolutha in the Koranic discourse

د / ابن سماعين اسماعيل
تحت إشراف الأستاذ : أ / مصطفى شريقن
جامعة عمار ثليجي – الأغواط– الجزائر.
bensmainsmail@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2020/09/06	تاريخ القبول:25-09-2020	تاريخ النشر 08-11-2020

ملخص البحث

يسعى هذا البحث إلى دراسة مقامات الضمير من متكلم ومخاطب وغائب من خلال ظاهرة الخروج عن مقتضى الحال (الالتفات) في محاولة لإستجلاء أبعادها ودراستها دراسة بلاغية ونحوية وأسلوبية والبحث عن أسرارها ونكتها البيانية في الخطاب القرآني، بتطبيقات وشواهد من موزون كلام العرب المتحققة في بنية الخطاب القرآني واستنباط دلالاتها اللغوية تبعا للقواعد التي وضعها علماء العربية، وضبطوا من خلالها أصول البيان، ووزنوا على وفقها أسلوب الكلام.

ومن هذا المنطلق أسس هذا البحث على إشكالية بمثابة محور الدراسة وهي: أين وكيف وظّف النص القرآني مرتكزات لا تتفق دائما مع المعايير الافتراضية كظاهرة الالتفات للمحافظة على استقرار البنية النصية للخطاب القرآني ووحدته العضوية سوء من ناحية عنايته بموقف المتلقي وعملية الفهم، أو من ناحية عنايته بجانب الصياغة من حيث البناء والنظم؟

الكلمات المفتاحية :

ضمير ، إلتفات ، أسلوب ، بلاغة ، خطاب قرآني.

Abstract:

We try through this research to study the The pronoun) the one who speaks ،the one to whom we address ،the one who is absent (through the phenomenon of Anacoluthe in an attempt to clarify its dimensions and study it rhetorically, grammatical and stylistic and to seek its secrets and flavor so in Quranic discourse, through applications and proofs of Arabic poetry made in the structure of Quranic discourse. And design its linguistic semantics according to the rules established by Arab scholars, through which they Adjust the origins of the manner, and weighed according to it the style of speech.

In this sense, The foundations of this research is based on a problem which is like the pivot of the study: Where and how did the Koranic text use foundations which do not always agree with criteria hypothetical, such as the phenomenon of Anacoluthe in maintaining the stability of the textual structure of the Koranic discourse and its organic unity according to its attention to the position of the receiver and the process of understanding, Or on the one hand its attention to the drafting where the construction and the systems?

Kays words:

The pronoun, Anacoluthe, style, Rhetoric ,Koranic discourse.

مقدمة:

لقد تناول اللغويون وعلماء البلاغة والأسلوب منهم خاصة في خضم دراستهم لموضوعات علم المعاني ونظم الكلام ظاهرة خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في الكلام البليغ، سيما بعد شيوع هذه الظاهرة في مواطن كثيرة في الخطاب القرآني والتي لفتت نظر المفسرين واللغويين على حد سوء، لداع من الدواعي البلاغية ذات تأثير في النفس وشحذ للفكر والتي تدعو إلى الوقوف عند خباياها المحجبة، والتدبر في صورها وكوامن معانيها، والنظر في عجائبها وأسرار صناعتها، لما فيها من صور فنية إبداعية تتضمن دلالات فكرية عميقة، وتعبيرات جمالية طافية.

إن لظاهرة خروج الكلام عن مقتضى الظاهر صور متعددة، وأساليب مختلفة، وأحوال واعتبارات معلومة في التصرف في الخطاب عند كل من طرفي العملية التواصلية (المتكلم والمخاطب) أهمها ظاهرة الالتفات بصورها ومقاماتها.

ومحاولة رصد هذه الظاهرة في الخطاب القرآني التي جرى العرف البلاغي على تسميتها بالالتفات، واستجلاء دورها البياني ليس بالأمر اليسير أو الهين، لذلك سنقتصر في دراستنا هذه على تسليط الضوء على الكشف عن العلاقة بين الضمائر الثلاثة المتكلم المخاطب والغائب، وقبل ذلك لا ضير أن نعرج على تحديد المجال المفاهيمي لظاهرة الالتفات وتبين ملامحها في حقول اللغة والبلاغة.

1 – المجال المفاهيمي للإلتفات وشروطه:

الإلتفات أسلوب بلاغيّ ألف العرب سماعه وإستعماله في لغتهم، كما ورد في كتابهم ويعني به "نقل الكلام من وجهة إلى أخرى، من ضمير المتكلم إلى المخاطب أو العكس، ومن المخاطب إلى الغائب وهكذا، والالتفات في العرف الاصطلاحي للبلاغيين هو التحويل في التعبير الكلامي من اتجاه إلى اخر[1].

فالإلتفات إذن يقصد به الإنتقال بالأسلوب الخطابي من الصيغ الثلاثة للتكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى صيغة أخرى من هذه الصيغ، بشرط أن يكون الضمير في المنتقل إليه يعود في نفس الأمر إلى الملتفت عنه، كما أشار إلى ذلك الزركشي بقوله: "وشرطه أن يكون الضمير في المتنقل إليه عائدا في نفس الأمر إلى المتلفت عنه، ليخرج نحو: أكرم زيدا، وأحسن إليه، فضمير أنت الذي هو في أكرم غير الضمير في إليه"[2].

لذلك حدد السيوطي شروط الالتفات في شرطين وهما[3]:

أ – أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائدا إلى نفس الأمر، أي إلى المنتقل عنه.

ب – أن يكون في جملتين.

أما التسميّة المتعارف عليها اليوم هي بمصطلح (الالتفات) فيرجع أصلها إلى الأصمعيّ[4]. ويعضد هذا القول عبد الفتاح لاشين في قوله: "ولعل الأصمعي هو الذي أطلق عليه الإسم الإصطلاحي لأول مرة"[5]. وفي رواية للعسكري قال فيها: أخبرنا أبو محمد قال: أخبرني محمد بن يحي الصولي... قال:

قال الأصمعي: أتعرف الإلتفات جرير؟ قلت: لا، فما هي؟ قال: فأنشدني قوله :

أتنسى إذ تواعدنا سُلَيْمى بعودِ بشامةٍ سقيَ البشامُ

ثم قال: ألا تراه مقبلا على شعره إذ إلتفت إلى البشام فدعا له.[6]

وقوله: **طربَ الحمامُ بذي الأراكِ فشاقني لا زلت في غللٍ وأيكٍ ناضرٍ**

فإلتفت إلى الحمام فدعا له.[7]

2 – الغرض الفني من الإلتفات:

لقد بيّن اللغويين وظيفة هذه الظاهرة وأوضحوا قيمتها الفنية بدأ بالزمخشري والسكاكي حيث قال صاحب الكشاف:"..لأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد ، وقد تختص مواضعه بفوائد"[8].

عادة ما يلجأ المخاطب إلى إمتاع المتلقي وجذب إنتباهه لتلك التقلبات التي تحدث على مستوى البنية اللغوية للخطاب، وكأن الكلام المتولي عبر السلسلة الكلامية على ضمير واحد لا يستطاب، فيلجأ المخاطب إلى هذا الأسلوب وهذا الغرض دفعا للملل ورفعا للسآمة من الاستمرار على ضمير متكلم أو ضمير مخاطب، فينتقلون من الخطاب إلى الغيبة، ومن المتكلم إلى الخطاب أو الغيبة، فيحسن الانتقال من بعضها إلى بعض في مقام واحد[9] ، ومن صيغة إلى صيغة، ليس انتقالا استطراديا، وليس تعليقا على ما قيل أو حُدث، وليس استشهادا بطرفة أو ملحة، وما شابه إنما هو وسيلة من وسائل تطرية نفس المتلقي والترويح عنه[10].

والأكيد أن المتتبع لهذه الظاهرة سيدرك أن هذا التغير في النسق هو الغرض الرئيسي والوظيفة الأساسية لتوظيفها في الخطاب، لأن من طبيعة النفس البشرية أنها تستريح ويتجدد نشاطها بسنة التغيير والتبديل خاصة في لغة التواصل إذا انتقل السياق من حال إلى حال وتغير لون الكلام، وتبقى هناك أغراض أخرى يكشفها الخطاب القرآني من خلال مقامات متنوعة وأساليب مختلفة مما يجعل ظاهرة الإلتفات مادة دسمة تستحق عناء البحث عند اللغوي الحذق والمتمرس للكشف عن أسرارها والتمتع بجمالياتها خاصة في الخطاب القرآني.

ولا غرو أن أسلوب الإلتفات لا تتضح مقاصده جليا ولا ترسى معالمه الفنية إلا في الخطاب القرآني، كما أوضح ذلك د. مصطفى شريقن وصفا هذا الأسلوب بقوله: "أسلوب لا يكاد يلمس واضحا ويفقه إلا من خلال القرآن الكريم، فهو من خصائصه لا يقتحم حماه ولا يخوض غماره إلا فارس شجاع، أليس هو أسلوب شجاعة عربية؟! ذلك أن مستخدمه بين أن يُصيبَ الأسرار والعلل أو يقع في الإضطراب والزلل"[11].

ونحن – ومن خلال هذه الدراسة – لا نود أن نتوغل أكثر في دارسة هذه الظاهرة البلاغية فكتاب "أسلوب الإلتفات في القرآن الكريم وأسراره"، لأستاذنا الفاضل "مصطفى شريقن" يغني عن أي دراسة أو بحث في موضوع ظاهرة الإلتفات، فكتابه كاف واف لأدقّ تفاصيلها قديما وحديثا، وخاصة استقصائها في الخطاب القرآني، لذلك نود في هذه الدراسة أن نسلط الضوء على نوع واحد وصورة واحدة من صور الإلتفات وهي صور التنوع بين الضمائر.

3 . الإلتفات حسب مقامات الضمير:

يمكن أن تتجلى وتتجسد ظاهرة الإلتفات بعملية توزيعية وفق ست مقامات للالتفات، حسب تصنيف الضمائر، إضافة إلى مقام سابع يتضمن مقامات مختلفة للضمير في سياق واحد، وذلك على النحو الآتي:

3 . 1 – المقام الأول: الالتفات من التكلم الى الخطاب

يعتبر هذا النمط في أسلوب الالتفات من أصعب الأنماط لاجتماع المتكلم والمخاطب في موقف خطابي واحد، أي أن يكون المرسل في نفس مقام المرسل إليه وفي نفس السياق باثا للرسالة ومتلقيها في آن واحد، حيث يجب تحديد جهتي الإرسال مع

وضوح المعنى في نفس السياق، لذلك يندر استعماله في الشعر وفي النثر، ورغم أنها تبدو خروجا عن المألوف في بنية الخطاب السطحية إلا أنها تكشف عن بعد دلالي مقصود في بنيته العميقة، وتهدف إلى تحقيق معاني وإيحاءات متعددة لافتة لانتباه المتلقي أو القارئ. ومثل هذا المقام ما جاء في قول ربيعة بن مقروم الضّبيّ من الطويل[12]:

ذَكَّرْتَ والذِّكْرَى تَهيجُكَ زينبَا ... وأصبحَ باقي وصلِها قد تَقَضَّبَا

وحلَّ بفَلْجٍ فالأباترِ أهلُها ... وشطَّتْ فحلَّتْ غَمْرَةً فمُثَقَّبَا

حيث التفت الشاعر من مقام التكلم في لفظ (ذَكَّرْتَ) بفتح تاء الفاعل، إلى مقام الخطاب في لفظ (تَهيجُكَ) بكاف الخطاب.

كما ورد هذا المقام من الالتفات في موضعين من الخطاب القرآني وهما:

الموضع الأول: جاء في قوله **(جل جلاله):** ﴿ **وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾[13].

يقول ابن عاشور محللا هذا الالتفات في تركيب هذه الآية: "وجملة لا أعبد حال من الضمير، والمعنى: وما يكون لي في حال لا أعبد الذي فطرني، أي لا شيء يمنعني من عبادة الذي خلقني، وهذا الخبر مستعمل في التعريض بهم كأنه يقول: وما لي لا أعبد وما لكم لا تعبدون الذي فطركم بقرينة قوله (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) إذ جعل الإسناد إلى ضميرهم تقوية لمعنى التعرض، وإنما ابتدأه بإسناد الخبر إلى نفسه لإبرازه في معرض المناصحة لنفسه وهو مريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويدارئهم فيسمعهم الحق على وجه لا يثير غضبهم ويكون أعون على قبولهم إياه حين يرون أنه لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه"[14].

فسّر الالتفات في الآية الكريمة هو غرض في نفس المتكلم وهو التلطف ومدارات المخاطب والتأثير عليه بشكل غير مباشر بتوجيه المناصحة إليه بينما يريد في حقيقة الأمر توجيهها إلى المخاطب في نفس الوقت، ولعمري لهذا من أروع أسرار البيان وفنون بلاغة القرآن.

ولله درّ إستاذنا الفاضل د. مصطفى شريقن حين علّق على تخريج الزمخشري، مخالفا إياه الرأي، في قوله "ولقد وضع قوله: وما لي لا أعبد الذي فطرني مكان قوله: وما لكم لا تعبدون الذي فطركم. ألا ترى إلى قوله: وإليه ترجعون ولولا أنه قصد ذلك لقال: الذي فطرني وإليه أرجع، وقد ساقه ذلك المساق إلى أن قال: آمنت بربكم فاسمعون يريد فاسمعوا قولي وأطيعوني"[15]. حيث جعل الزمخشري الأصل الذي إلتفت عنه هو (وما لكم لا تعبدون الذي فطركم) مستدلا بما بعدها (وإليه ترجعون)، ذلك أن أسلوب الإلتفات يقتضي أن يكون بما خالف الظاهر الذي يجري عليه السياق، وعليه فالمخالف للسياق لا يكون السابق، وإنما اللاحق هو الذي خالف الأول إلا إذا منع ذلك منع قاهر[16].

الموضع الثاني:

وجاء في موضع آخر من الخطاب القرآني حيث ورد فيه الإنتقال من مقام التكلم إلى الخطاب في قوله **(جل جلاله):**﴿**قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** ﴾[17]

حيث يظهر كلا من ضمير المتكلم (نحن) وضمير المخاطب (أنتم) على مستوى البنية العميقة للآية الكريمة على هذه المنوال: وأمرنا (نحن) لنسلم لرب العالمين، وأن (أنتم) أقيموا الصلاة و(أنتم) اتقوه، وهو الذي (أنتم) إليه تحشرون.

فكان تبرير ذلك الإنحراف في نسق الكلام عند النحاة في قوله تعالى: (وأن أقيموا) على عدة أقوال:

أحدها: أنها في محل نصب بالقول نسقا على قوله: إن هدى الله هو الهدى، أي: قل هذين الشيئين.

والثاني: أنه نسق على (لنسلم)، والتقدير : وأمرنا بكذا للإسلام ولنقيم الصلاة، و (أن) توصل بالأمر كقولهم: (كتبت إليه بأن قم)، حكاه سيبويه، وهذا رأي الزجاج .

والثالث: أنه نسق على (ائتنا)، قال مكي: لأن معناه: (أن ائتنا) وهو غير ظاهر.

والرابع: أنه معطوف على مفعول الأمر المقدر، والتقدير: وأمرنا بالإيمان وبإقامة الصلاة، قاله ابن عطية .

والخامس: أنه محمول على المعنى، إذ المعنى: قيل لنا: أسلموا وأن أقيموا[18].

كان حري على جمهور النحاة تقدير هذا المعنى بأسلوب الإلتفات، حتى يتم تأويل نسق هذه الآية الكريمة على الوجه المقصود زيادة على التحليل النحوي لها، ولقد نحى هذه الغاية د. شريقن الذي يرى أن الآية بهذا العدول جمعت بين معنيين لا يتيسر الظفر بهما معا إلا بهذا الإنتقال[...] حيث يستحضرهما المتأمل في الآية، مستدلا بقول الزجاج في قوله:" لابد من تأويل ليستقيم العطف، فالتقدير: وأمرنا لنسلم ولنقيم، وأمرنا أن أسلموا وأن أقيموا"[19].

2 . 3 – المقام الثاني: الإلتفات من التكلم الى الغيبة:

وفي أسلوب آخر يتنوع فيه طريق الإلتفات من الشخص المتكلم إلى الشخص الغائب في صورة تتجلى فيها القيمة التعبيرية والغاية المعنوية التي يرمي إليها الخطاب، وهذا المقام ورد في شعر الحجاج بن يوسف في رده عن كتاب عبد الملك الذي يعتب عليه في إسرافه في صرف الأموال، وسفك الدماء، فلما قرأه الحجاج رد عليه في كتاب كتب في أسفله[20]:

إذا أنا لم أتبع رضاك وأتقي ... أذاك فيومي لاتزول كواكبه

وما لامرىء بعد الخليفة جنة ... تقيه من الأمر الذي هو كاسبه

أسالم من سالمت من ذي قرابة ... ومن لم تسالمه فإني محاربه

إذا قارف الحجاج منك خطيئة ... فقامت عليه في الصباح نوادبه

ومحل الشاهد هاهنا هو إنتقال الشاعر وعدوله عن مقام الضمير المتكلم (أنا) إلى مقام الغائب بالإشارة إلى إسم العلم (الحجاج) نفسه في صدر البيت الأخير، وبضمير الغائب المتصل في (عليه) و(نوادبه) في عجزه، لغاية بلاغية يفيدها هذا الأسلوب تتمثل في إستعطاف الملك وإلتماس العذر له، كما كان أسلوب الإلتفات الذي قصده الشاعر والذي إزينت به أبياته وتألقت بمثابة الاستطراد حيث ذكر ابن رشيق في هذا الشأن قائلا: "ومنزلة الإلتفات في وسط البيت كمنزلة الاستطراد في آخر البيت، وإن كان ضده في التحصيل، لأن الالتفات تأتي به عفوا وانتهازا، ولم يكن لك في خلد فتقطع له كلامك، ثم تصله بعد إن شئت، والاستطراد تقصده في نفسك، وأنت تحيد عنه في لفظك حتى تصل به كلامك عند انقطاع آخره، أو تلقيه إلقاء وتعود إلى ما كنت فيه"[21]. أما في الخطاب القرآني فقد ورد هذا الأسلوب من الإلتفات في بعض المواضع من كتاب الله عز وجل منها قوله **(جل جلاله): ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾**[22].

ووجه الإلتفات هاهنا هو الانتقال من مقام التكلم بصيغة ضمير الجمع المتكلم (نحن) في (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ) و(عِندِنَا) إلى مقام الغيبة في (مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ)، يقول صاحب الدر المصون في شأن هذا الإلتفات:"و(مِّن رَّبِّكَ) يتعلق برحمة، أو بمحذوف على أنها صفة. وفي(مِّن رَّبِّكَ) إلتفات من التكلم إلى الغيبة، ولو جرى على منوال ما تقدم لقال: رحمة منا."[23]

وفي موضع آخر من الخطاب القرآني ورد هذا المقام من الإلتفات أيضا في قوله **(جل جلاله)**: ﴿**أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۝ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۝ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۝ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا**﴾[24].

ومحل الشاهد في الآيات الكريمة هو الانتقال من مقام التكلم في ضمير المفرد الفاعل في لفظ (فَأَرَدتُّ)، وضمير الجمع (فَخَشِينَا) و(فَأَرَدْنَا) إلى مقام الغيبة في (فَأَرَادَ رَبُّكَ) و(مِّن رَّبِّكَ)، ثم العودة مرة أخرى إلى مقام التكلم في (عَنْ أَمْرِي)، فنتج عن ذلك بناء فني رائع في هذا الخطاب أضفى إليه أسلوب الإلتفات عناصر جمالية من خلال ملامح الشد والجذب والإثارة، التي تؤثر حتما في السامع وتحثه على المتابعة والتفكر والربط بالعودة إلى أول التعبير ومحاولة الكشف عن أسرار التعبير والانتقال من أسلوب لآخر. ففي معنى الإلتفات الأول في (فَأَرَادَ رَبُّكَ) أي: مالكك ومدبر أمورك، ففي إضافة الرب إلى ضمير موسى عليه الصلاة والسلام دون ضمير (هما) تنبيه له عليه الصلاة والسلام على تحتم كمال الانقياد والاستسلام، لإرادته سبحانه، ووجوب الاحتراز عن المناقشة فيما وقع بحسبها من الأمور المذكورة. [25]

وفي معنى الإلتفات الثاني في (رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ) قيل: متعلق بمضمر، أي: فعلت ما فعلت من الأمور التي شاهدتها رحمة من ربك، ويعضده إضافة الرب إلى ضمير المخاطب دون ضميرهما فيكون قوله **(جل جلاله)** : وما فعلته عن أمري أي: عن رأيي واجتهادي تأكيد لذلك[26].

وأما د. مصطفى شريقن فيفضل نصا لصفي الدين بن أبي منصور، في كتابه (فك الأزرار عن عنق الأسرار) والذي ذكره الزركشي، حيث يرى أنه أحسن تعليل لهذا العدول في الأسلوب وتلونه من موضع إلى آخر في قوله: " لما أراد ذكر العيب للسفينة نسبه لنفسه أدبا مع الربوبية فقال: فأردت، ولما كان قتل الغلام مشترك الحكم بين المحمود والمذموم، استتبع نفسه مع الحق، فقال في الإخبار بنون الإستتباع، ليكون المحمود من الفعل – وهو راحة أبويه المؤمنين من كفره – عائدا على الحق سبحانه وتعالى، والمذموم – ظاهرا – وهو قتل الغلام بغير حق، عائدا إليه. وفي إقامة الجدار كان خيرا محضا، فنسبه للحق فقال: (فأراد ربك) ثم بيّن أن الجميع من حيث العلم التوحيدي من الحق، بقوله:**(وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي)**"[27].

ويبدو من هذا النص الذي إستحسنه د. شريقن أن صفي الدين حاول أن يربط سر هذا الانتقال في الأسلوب بنسيج النص ككل، وكأن سر هذا الانتقال مرتبط بأنساق تركيبية عديدة في بناء هذا النص، كما يمثل استخدام الضمائر في النص عنصرا أساسيا في تكوينه، مع مراعاة كل حالة من حالات الخطاب، وأن هذا الانحراف للنسق أو انتقال في الإيراد الكلامي، ليس انتقالا استطراديا، وليس تعليقا على ما قيل أو حدث، وليس استشهادا بطرفة أو ملحة، وما شابه ذلك بل هو نسيج متكامل للنص القرآني الذي يوحي بالإعجاز اللغوي والفني المنقطع النظير.

3 . 3 – المقام الثالث: الإلتفات من الخطاب إلى التكلم

كما يكون الانتقال من مقام الخطاب إلى مقام التكلم كما جاء في قول علقمة بن عبدة من الطويل[28]:

طَحَا بِكَ قَلْبٌ في الحِسَانِ طَرُوبُ ... بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حانَ مَشِيبُ

يُكَلِّفُنِي لَيْلَى و قد شَطَّ وَلْيُها ... و عادَتْ عَوَادٍ بيننا و خُطُوبُ

ومحل الشاهد هاهنا قوله (يُكَلِّفُنِي) بالياء وفيه إلتفات من الخطاب في (بِكَ) إلى ضمير التكلم، ومقتضى الظاهر (يكلفك) وفاعل (يكلفني) ضمير القلب وليلى مفعوله الثاني، وعلى هذا يكون المعنى: يطالبني القلب بوصل ليلى. كما رويت هذه الأبيات بلفظ (تكلفني) بالتاء على أنه مسند إلى ليلى والمفعول محذوف أي شدائد فراقها أو على أنه خطاب للقلب فيكون إلتفاتا آخر من الغيبة إلى الخطاب و(بك) فيها إلتفات على مذهب السكاكي لا على مذهب الجمهور[29].

كما ورد هذا العدول في الكلام والإنحراف في النسق أو انتقال في الإيراد الكلامي من مقام الخطاب إلى التكلم في الخطاب القرآني نحو قوله **(جل جلاله):**﴿ **وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ**﴾[30].

يشير التأمل في نسق الآية الكريمة إلى وجود إنحراف في الأسلوب عن ضمير المخاطب المفهوم من خلال البنية العميقة للآية في لفظ (رَبَّكُمْ) بالعدول والإلتفات عنه إلى أسلوب ومقام المتكلم في لفظ (رَبِّي)، فيضيف بذلك دلالات تضع هذا التوجه في حيز التفنن في الخطاب، كما أشار إلى ذلك الطاهر بن عاشور في قوله: "وتفنن في إضافة الرب إلى ضمير نفسه مرة وإلى ضمير قومه أخرى لتذكيرهم بأنه ربهم كيلا يستمروا على الإعراض وللتشرف بانتسابه إلى مخلوقيته"[31].

وفي موضع آخر في الخطاب القرآني تبدو لنا هذه الصورة من الإلتفات بالإنحراف من مقام الخطاب إلى مقام التكلم في قوله **(جل جلاله):** ﴿**فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا لَذَائِقُونَ**﴾[32].

ومحل الشاهد في هذه الآية الكريمة أنها وردت بسياق يخالف المقتضى الظاهر للمعنى الآية الذي جاء وفق حاصل المعنى لحكاية عتاب ولوم توجه به الذين اتبعوا على قادتهم وزعمائهم، ودلالة التركيب عليه أن يكون الإتيان أطلق على الدعاية والخطابة فيهم لأن الإتيان يتضمن القصد دون إرادة مجيء، كقول الشاعر من الطويل[33]:

أَتاكَ امرُؤٌ مُسْتبطِنٌ لي بِغْضَةٌ

لكن تحول السياق في اللفظ والتركيب الذي خالف الأصل لحكاية لقول الله عز وجل حيث يكون تقدير الكلام: (إِنَّكُمْ لَذَائِقُونَ) بدلا من (إِنَّا لَذَائِقُونَ)، بعد اعترافهم بأنهم جميعا استحقوا العذاب، والعدول إلى هذا الأسلوب والكلام اعتبره ابن عاشور في تفسيره تفريع الاعتراض، أي أن المعنى كان أمر ربنا بإذاقتنا عذاب جهنم حقا. وفعل (حق) بمعنى ثبت، وجملة (إِنَّا لَذَائِقُونَ) بيان لـ (قَوْلُ رَبِّنَا). وحكي القول بالمعنى على طريقة الالتفات، ولولا الالتفات لقال: (إنكم لذائقون) أو إنهم (لذائقون)، ونكتة الالتفات زيادة التنصيص على المعني بذوق العذاب. وحذف مفعول (ذائقون) لدلالة المقام عليه وهو الأمر بقوله **(جل جلاله):** ﴿**فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ** ﴾[34].

كما إستشهد صاحب كتاب أسلوب الإلتفات بنص للزمخشري – دون الجملة الأخيرة – الذي يبدو مشابها لرأي ابن عاشور حيث يقول صاحب الكشاف: "فحق علينا فلزمنا قول ربنا إنا لذائقون يعني: وعيد الله بأنا ذائقون لعذابه لا محالة، لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة، ولو حكى الوعيد كما هو لقال: إنكم لذائقون، لكنه عدل به إلى لفظ المتكلم، لأنهم متكلمون بذلك عن أنفسهم. ونحوه قول القائل من الوافر:

ألا زعمت هوازن قل مالي ولو حكى قولها لقال: قل مالك

كقول المحلف للحالف: احلف لأخرجن، ولتخرجن، الهمزة لحكاية لفظ الحالف، والتاء لإقبال المحلف على المحلف".[35]

3 . 4 – المقام الرابع: الإلتفات من الخطاب إلى الغيبة

وصورة هذا النمط من الإلتفات هو الانتقال من ضمير المخاطب إلى ضمير الغائب، أو الاسم الظاهر الذي هو صورة من صور الغيبة، ويوجد هذا النمط من الأسلوب في نثر العرب وأشعارهم أيضا، ومن روائع هذا المقام من الإلتفات ما قالته شاعرة العرب الأولى الخنساء في رثاء أخيها صخر في أعظم مراثي الشعر العربي من البسيط:

قَذىً بِعَينِكِ أَم بِالعَينِ عُوّارُ أَم ذَرَفَت إِذ خَلَت مِن أَهلِها الدارُ

كَأَنَّ عَيني لِذِكراهُ إِذا خَطَرَت فَيضٌ يَسيلُ عَلى الخَدَّينِ مِدرارُ

تَبكي لِصَخرٍ هِيَ العَبرى وَقَد وَلَهَت وَدونَهُ مِن جَديدِ التُربِ أَستارُ

تَبكي خُناسٌ فَما تَنفَكُّ ما عَمَرَت لَها عَلَيهِ رَنينٌ وَهِيَ مِفتارُ

تَبكي خُناسٌ عَلى صَخرٍ وَحُقَّ لَها إِذ رابَها الدَهرُ إِنَّ الدَهرَ ضَرّارُ

إن المتأمل لهذه الأبيات ليسلبه ذلك الوقع القوي المكين في الجو الحزين للاستعطاف والترقيق لحالها ولمأساتها، ويجذبه ويسحره ذلك الإلتفات في قولها: (قذى بعينك) في مقام الخطاب إلى مقام الغائب في لفظ (ذرفت) أردفتها بلون آخر من الإلتفات من الفعل الماضي إلى المضارع في (خطرت) و(يسيل)، ثم تعكس ذلك السياق من المضارع إلى الماضي في (تبكي) و(ولهت)، وكأنها سنفونية موسيقية، والغرض من ذلك لفت النظر أو السامع إلى المتكلم، وإثارة للمتلقي واستصغائه، ولتقوية المعاني وشموليتها، ولتخصيص المتلقي المخاطَب وللتصريح بكنه الخطاب، لتوبيخ المتلقي المغيّب، لاستقصاء الاحتمالات المعنوية للأفعال المسْتَلْفَتَة، وكذا استحضار الغائب وتغييب الحاضر، وثبوت المخاطَب المغيَّب والمخاطَب المستحضَر في نفس المتلقي على حد سواء أي سواء أكان حاضرا أم غائبا.

أما في الخطاب القرآني فصورة هذا المقام من الإلتفات حيث الإنتقال من مقام الخطاب إلى الغيبة وردت في مواضع معدودة، نذكر منها ما ورد بنفس الصيغة تقريبا في موضعين مختلفين في القرآن الكريم منها ما جاء في قوله**(جل جلاله)**: ﴿**وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ۝ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾[36].

وقوله**(جل جلاله)**:﴿**إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ۝ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ**﴾[37].

ومحل الشاهد في هاتين الآيتين الكريمتين هو صرف الكلام وعدوله من ضمير المتكلم سواء المنفصل (أَنَا) أو المتصل (كُمْ) في (أُمَّتُكُمْ) و(رَبُّكُمْ) من مقام التكلم إلى مقام الغيبة في الضمير المستتر في (تَقَطَّعُوا) أو المتصل في (أَمْرَهُم) و(بَيْنَهُمْ)، وأصل الخطاب دون إنحراف في الأسلوب (وتقطعتم)، يقول الزمخشري في هذا الصدد: "والأصل (وتقطعتم) إلا أن الكلام حرف إلى الغيبة على طريقة الإلتفات، كأنه ينعي عليهم ما أفسدوه إلى آخرين ويقبح عندهم فعلهم، ويقول لهم: ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله، والمعنى: جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعا، كما يتوزع الجماعة الشيء ويتقسمونه، فيصير لهذا نصيب ولذاك نصيب، تمثيلا لاختلافهم فيه، وصيرورتهم فرقا وأحزابا شتى، ثم توعدهم بأن هؤلاء الفرق المختلفة إليه يرجعون، فهو محاسبهم ومجازيهم"[38].

بينما نجد تفسيرا آخر لصاحب التنوير والتحرير أكثر دقة وتفصيل زيادة على إستنباط الغرض المقصود من هذا العدول من ضمائر الخطاب إلى ضمائر الغيبة حيث يكون المعنى: "أي أعرضوا عن قولنا و(تقطعوا) وضمائر الغيبة عائدة إلى مفهوم من المقام وهم الذين من الشأن التحدث عنهم في القرآن المكي بمثل هذه المذام، وهم المشركون.

ومثل هذه الضمائر المراد منها المشركون كثير في الخطاب القرآني، ويجوز أن تكون الضمائر عائدة إلى أمم الرسل.

فعلى الوجه الأول الذي قدمناه في ضمائر الخطاب في قوله تعالى إن هذه أمتكم أمة واحدة يكون الكلام انتقالا من الحكاية عن الرسل إلى الحكاية عن حال أممهم في حياتهم أو الذين جاءوا بعدهم مثل اليهود والنصارى إذ نقضوا وصايا أنبيائهم. وعلى الوجه الثاني تكون ضمائر الغيبة إلتفاتا"[39].

وعلى هذا الأساس – أي الغرض والمعنى– من الانتقال من ضمائر الخطاب إلى الغيبة يبني د. شريقن إمكانية أخرى أن يحمل أسلوب الإلتفات معاني أخرى مناقضة للتذام والمقت والبغض الذي أشار إليه طاهر بن عاشور والرازي في تفسيرهما للنص القرآني السابق، وهذا بقرائن لمحها في آيات ندكر منها :

أ- قوله **(جل جلاله)**:﴿**وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ**﴾[40].

ب – وقوله **(جل جلاله)**:﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[41].

فالواضح من سياق هذه الآية الكريمة الأخيرة تبدل هيئتها الأسلوبية بصرف وجه الكلام من ضمير الخطاب المتكرر والمتمثل في كاف الخطاب إلى ضمير الغائب بعد ذكر اللفظ المقصود الظاهر (النَّبِيُّ) ثم إضماره في (يَسْتَنكِحَهَا) وذلك لضرورة دلالية في كل جزء من بنية الآية، مع الحفاظ على ثبات المرجعية للضمير في هيئته الأولى والضمير في هيئته المنحرفة والمصرّفة، فيحقق بذلك أسلوب الإلتفات بما يسمى وحدة السياق بين الملتفت عنه، والملتفت إليه، رغم وجود تلك المخالفة السطحية على مستوى التركيب إلا أن التوافق يبقى تاما على مستوى البنية السطحية.

لذلك يجيبنا الزمخشري في سؤال قد يتبادر إلى ذهن كل منّا: لم عدل عن الخطاب إلى الغيبة في قوله تعالى: (نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ) ثم رجع إلى الخطاب؟ قلت:(القول للزمخشري): للإيذان بأنه مما خص به وأوثر، ومجيئه على لفظ النبي للدلالة على أن الاختصاص تكرمة له لأجل النبوة، وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته[42].

3 . 5 – المقام الخامس: الإلتفات من الغيبة إلى التكلم

لا يعزب عن الذهن الإلتفات كظاهرة أسلوبية التي تعتمد على انتهاك النسق اللغوي للنص وتجاوزه معتمدا على تقنية الإنزياح الذي يعمل على تطرية نشاط السامع أو المتلقي ويدفع عنه الضجر والسأم عند انتقاله من مقام إلى آخر كالانتقال من ضمير الغيبة إلى ضمير المتكلم، ولا يمكن أن تتحدد ملامح هذه الذات إلا بالارتباط بالآخر في تجلياته المختلفة، كما يوفر ضمير الذات جو المواجهة والصراحة، ويجلي مادة الخطاب ويعلي من شانها، حيث يعود بالمتلقي من مقام الغائب إلى مقام الحاضر فيكون بمثابة الشاهد، ومثل ذلك ما جاء على لسان عنتر بن شداد من الكامل في قوله:

شطّتْ مزارُ العاشقينَ فأصبحتْ عَسِرا عليّ طلابكِ ابنةَ مخرم[43]

فالمعنى الذي أراده الشاعر هو: فأصبحت ابنة مخرم عسرا على طلابها، وكان من الجائز أن يجعل الكلام كأنه خاطبها، لأنه حين قال: شطت مزار العاشقين، لأنه كان يقصد إياها. وقد تخاطب العرب الشاهد فتظهر له مخاطبة الغائب، على نحو ما جاء في قول خفاف بن ندبة السلمي، من الطويل[44]:

فإن تكُ رمحي قد أصيب جميعها فعمدا إلى عين تيممت مالكا

أقول له والرمح يأطر متنه تأمل خفافا إنني أنا ذلك .

وفي الخطاب القرآني ورد هذا المقام بالانتقال من ضمير الغيبة إلى ضمير المتكلم في عدة مواضع نذكر منها بعض الآيات التي جاءت على منوال متشابه تقريبا في قوله **(جل جلاله):**

أ - ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[45].

ففي هذه الآية عدل عن ضمير الغيبة المفرد (هُوَ) والضمير الغائب المتصل في (رَحْمَتِهِ) إلى ضمير الجمع المتكلم في باقي سياق الآية في (سُقْنَاهُ) و(أَنزَلْنَا) و(أَخْرَجْنَا) والمستتر في (نُخْرِجُ)، "حيث وردت (سقناه) بدل (ساقه) و(أنزلنا) بدل (أنزل)"[46]، كما ورد الفعل (نُخْرِجُ) بدل الفعل (أَخْرجَ) للدلالة على الغائب في الأصل الذي عدل عنه.

ب – وفي قوله **(جل جلاله):**﴿ **وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ** ﴾[47].

ومحل الشاهد في الآية الكريمة هو عدوله من طريق الغيبة بالضمير المستتر الغائب في الفعل الماضي (أوحى) إلى مقام التكلم في بالضمير المتصل في الفعل (زيّنّا) عوض (زيّنّ)، ولأبي السعود إشارة لطيفة دائما في هذا الأسلوب يقول فيها:"وزينا السماء الدنيا بمصابيح من الكواكب فإنها كلها ترى متلألئة عليها كأنها فيها، والإلتفات إلى نون العظمة لإبراز مزيد العناية بالأمر" [48].

أما ابن عاشور فيفسر سرّ هذا الإنزياح عن النسق اللغوي المألوف من خلال وقوع أسلوب الإلتفات في الآية الكريمة فيقول: "ووقع الإلتفات من طريق الغيبة إلى طريق التكلم في قوله: (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) تجديدا لنشاط السامعين لطول استعمال طريق الغيبة ابتداء من قوله بـ(الذي خلق الأرض في يومين) مع إظهار العناية بتخصيص هذا الصنع الذي ينفع الناس دينا ودنيا وهو خلق النجوم الدقيقة والشهب بتخصيصه بالذكر من بين عموم وأوحى في كل سماء أمرها، فما السماء الدنيا إلا من جملة السماوات، وما النجوم والشهب إلا من جملة أمرها"[49] .

وقد يبدو لنا من سياق الآية الكريمة وكأن هذا العدول والانتقال من مقام الغيبة إلى مقام التكلم يقابله انتقال من جانب غير محسوس وغير مرئي ناسبه إسناد مقام الغيبة في مسألة الوحي التي كانت بعلم الله تبارك وتعالى وحده، إلى جانب محسوس ومرئي ناسبه إسناد مقام التكلم والحضور في مسألة رؤية الزينة التي تلونت بها السماء بالمصابيح المنيرة في كل ليلة – والله أعلم – ولعل رأي ابن الأثير يعضد رأينا هذا في قوله: " أن طائفة من الناس غير المتشرعين يعتقدون أن النجوم ليست في السماء الدنيا، وأنها ليست حفظا ولا رجوما، فلما الصار الكلام إلى هاهنا عدل به عن خطاب الغائب إلى خطاب النفس، لأنه مهم من المهمات الإعتقاد وفيه تكذيب للفرقة المكذبة المعتقدة ببطلانه".[50]

ومن خلال هذا التركيب الذي رأيناه في الآيات السابقة وذلك من خلال انتقال الخطاب القرآني من مقام إلى آخر في الضمائر، كشف لنا اللغويون والمفسرون سرّ هذا الإلتفات الذي يوحي عن أغراض تعبيرية ومقاصد بلاغية، تحمل طاقات إيحائية

طافية بالإنزياح عن النسق اللغوي المألوف، وخاصة تلك النون الدالة على ضمير المتكلم في (أنزلنا) و(أخرجنا) و(بعثنا) و(زيّنّا) التي جاءت لغاية وحكمة إلهية تقتضي إظهار كمال وتمام العناية بالأمر وقدرة الخالق عز وجل.

6 . 3 – المقام السادس: الإلتفات من الغيبة الى الخطاب

لم تخل قصائد العرب من مقامات الإلتفات بأنواعها، ومنها مقام الإلتفات من الغيبة إلى الخطاب لمسوغات متعددة وأغراض متنوعة ومنها: التنبيه، التوبيخ، توجيه العتاب واللوم، السخرية، وبثّ الشكوى إلى المخاطب المقصود في النص، إذ إنّ "الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجري على وتيرة واحدة، وإنما هو مقصور على العناية بالمعنى المقصود، وذلك المعنى يتشعب شعبا كثيرة وإنما يؤتى بها على حسب الموضع الذي ترد فيه"[51]، كقول الحارث[52]:

إِذْ تَمَنَّوْنَهُمْ غُرُوراً فَسَاقَتْ هُمْ إِلَيْكُمْ أُمْنِيَّة أَشْرَاءُ

لَمْ يَغُرُّوكُمُ غُرُوراً وَلكِنْ رَفَعَ الآلُ شَخْصَهُم وَالْضَّحَاءُ

ومحل الشاهد هاهنا هو عدول الشاعر عن ضمير الغائب المتصل في الفعلين (تمّنوهم وفساقتهم) إلى مقام الخطاب في ضمير الجمع المخاطب المتصل كذلك في لفظ (إليكم)، ثم أعاد الكرة بنفس الأسلوب بصورة عكسية في لفظ (يغروكم) من التكلم إلى الخطاب في لفظ (شخصهم)، فأضحى كالفنان الذي يضرب على أوتار العود منتقلا مترنما من نغمة إلى أخرى، كما إن هذا الأسلوب يجعل المتلقي أكثر استثارة وتنبها، مفعما بالمشاركة الحيوية، لتقبل النص وفهمه.

كما نلاحظ أن الانتقال من الغيبة – التي هي حكاية حال وقعت – إلى الخطاب المباشر الذي يستحضر المخاطب، إنما هو لغرض توجيه العتاب واللوم إلى المخاطب، لكونهم اغتروا بشوكتهم وعدتهم فتمنّوا قتال العدوّ، فساقتهم إليهم أمنيتهم التي كانت مع البطر[53].

وهذا النمط من الإلتفات ورد في مواضع كثيرة في القرآن منها ما جاء في السبع المثاني في قوله**(جل جلاله):﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۩ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ۩ مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾**[54].

فقد بدأ الحديث بطريق الغيبة في الآيات الثلاث الأولى ثم عدل عن الغيبة إلى الخطاب في الآي التالية من نفس السورة في قوله **(جل جلاله):﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۩ اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ ۩ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾**[55].

ففي سياق الآية الكريمة تحقق أسلوب الإلتفات من خلال مخالفة بنية التركيب السطحية حين تحول السياق فجأة ومن غير توقع من مقام الغيبة إلى مقام المخاطب بلفظ (إياك نعبد) عوض قوله: (إياه نعبد)، يقول ابن الجني في هذا المقام في نظرة عميقة تكشف سرّ هذا الالتفات وأسرار بلاغته: "فليس ترك الغيبة إلى الخطاب هنا اتساعا وتصرفا بل هو لأمر أعلى ومهم من الغرض أعنى، وذلك أن الحمد معنى دون العبادة، ألا تراك قد تحمد نظيرك ولا تحمده، لأن العبادة غاية الطاعة والتقرب بها هو النهاية والغاية؟ فلما كان كذاك إستعمل لفظ (الْحَمْدُ) لتوسطه مع الغيبة. فقال (الْحَمْدُ لِلَّهِ) ولم يقل: (لك)، ولما صار إلى العبادة التي هي أقصى أمد الطاعة، قال: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) فخاطب بالعبادة إصراحا بها وتقربا منه (عز إسمه) بالإنتهاه إلى محدوده منها"[56].

يا ليت شعري هل سيجد القارئ للخطاب القرآني أورع من هذا الاستعمال لأسلوب الالتفات الذي جاء في مقام الخطاب، كما سيجده في أم الكتاب وفاتحته، وأم القرآن وخاصته، والسبع المثاني، وشافية الأسقام، وعافية الأبدان، وغيرها من الأوصاف العظيمة لهذه السورة الكريمة!

إذن فسرّ هذا الأنتقال والعدول في الأسلوب كان لغاية بلاغية إقتضاها الخطاب القرآني والتي من شأنها تعظيم شأن المخاطب والرفع من قدره، كما أن مخاطبة الذات الإلهية بإسناد النعمة إليها تعظيما لخطابه عز وجل، وكذلك ترك مخاطبته بإسناد الغضب إليه تعظيم لخطابه أيضا.

ولدكتور مصطفى شريقن إشارة لطيفة أيضا، وتعليق لبيب لمعاني هذا الالتفات في السورة فيقول: "ولعل تلك المعاني ارتبطت هذه السورة بالصلاة دون سواها فلا تصح صلاة إلا بها، إذ يتم بها العروج إلى الآفاق النورانية التي فرضت فيها الصلاة ليلة المعراج فلا يكاد يسترسل المصلي في تلاوة الفاتحة يمجد ربه، حتى يجد نفسه بين يدي الحضرة الإلهية فيخاطب الله بما هو أهله، ويستمد العون لمواجهة تكاليف الحياة وشدائدها – والله أعلم –"[57].

وفي موضع آخر من الخطاب القرآني في قوله (جل جلاله): ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۝ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۝ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ**﴾[58].

يرى د. شريقن في شأن هذه الآية وجود إلتفات يفسره إنتقال الحديث من أهل اليمين وأصحاب الجنة إلى أهل صقر وأصحاب جهنم، وعلى أن هذا الالتفات بيان أن أهل الجنة ممكنون من الإطلاع على أحوال أهل النار ومساءلتهم دون أن يؤذيهم لفحها، كما أن فيه بيانا شافيا يعرف به أهل الدنيا سبب السلوك في النار أخذا من مصدر هو الخبر اليقين: برواية أهل الجنة خطابا ومشافهة (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ) ؟! فتجتنب سبيلهم[59].

لكن يبدو لنا أن الدكتور بنى هذا الرآي على أساس السياق العام والمعنى الإجمالي للآية [38] وما بعدها من سورة المدثر في إستنتاج أسلوب الالتفات منها، أو بصورة أدق أنه إعتمد على البنية العميقة في إستنتاجه، لأنه يبدو لنا أن الخطاب القرآني قصد الحديث عن طائفتين متابينتين فتكلم عن الأولى بالسؤال عنهم (يتساءلون عن المجرمين) ثم إنتقل إلى الثانية بالسؤال لهم (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ) دون إلتفات على مستوى البنية السطحية، فإذا رجعنا إلى البنية العميقة للنص يحس القارئ المتمعن للقرآن الكريم ومعانيه ودقائقه أن هناك نوعا من الحذف والإختصار المقصود والمعهود في هذا النظم.

ولعل رأي ابن عاشور يعضد رأينا في تفسيره لهذه الآيات فيقول: "وضمير الخطاب في قوله سلككم يؤذن بمحذوف. والتقدير: فيسألون المجرمين ما سلككم في سقر، وليس إلتفاتا، أو يقول بعض المسؤولين لأصحابهم جوابا لسائليهم قلنا لهم : (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ)"[60].

ورأي الزمخشري ليس ببعيد كذلك حول هذا المعنى إذ يقول في كشافه: "ما سلككم وهو سؤال للمجرمين قوله: يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم؟ وإنما كان يتطابق ذلك لو قيل: يتساءلون المجرمين ما سلككم قلت: ما سلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم، وإنما هو حكاية قول المسؤولين عنهم، لأن المسؤولين يلقون إلى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين، فيقولون: قلنا لهم: ما سلككم في سقر؟ قالوا: لم نك من المصلين. إلا أن الكلام جيء به على الحذف والاختصار، كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه."[61]

3 . 7 – المقام السابع: الإلتفات في مقامات مختلفة في سياق واحد:

في هذا المقام تكرار صور الإلتفات وتتابع في سياق النص الواحد، حيث يتلون هذا النص بألوان مختلفة من الإلتفات، وكأنها لعبة بالضمائر يقصدها منشئ الخطاب في نفسه، في صور مخالفة لمقتضى ظاهر للمطابقة في الضمير(المتكلم والمخاطب والغائب)، فيتفنن فيه ويتصرف به، وينتقل بالمتلقي من أسلوب إلى أسلوب ومن سياق إلى سياق، وقد جمع امرؤ القيس صور الالتفات الثلاثة في ثلاثة أبيات متتاليات في مرثيته، تلونت بصور الإلتفات في قوله من المتقارب [62]:

تَطاوَلَ لَيلُكَ بِالأَثمَدِ وَنامَ الخَلِيُّ وَلَم تَرقُدِ
وَباتَ وَباتَت لَهُ لَيلَةٌ كَلَيلَةِ ذي العائِرِ الأَرمَدِ
وَذَلِكَ مِن نَبَإٍ جاءَني وَخُبِّرتُهُ عَن أَبي الأَسوَدِ

حيث إلتفت من الحكاية إلى الخطاب في البيت الأول في لفظ (لَيلُكَ) و(لَم تَرقُدِ)، وكان الأصل هو قوله (ليلي) و(لم أرقد) في إنزياح واضح لنسق الكلام كان الغرض البلاغي منه هو أن ينبه على أن نفسه وقت ورود ذلك النبأ عليها ولهت وله الثكلى فجعلها كالمصاب الذي لا يتسلى إلا بتفجعه على نفسه، وأخذ يخاطب بتطاول ليلك تسلية لها[63].

وفي البيت الثاني إنصرف عن الخطاب إلى الغيبة والإخبار حيث كان القياس على (لَيلُكَ)←(بِتُّ)، وكذلك (باتتْ لكَ)، لكن نبه بذلك على أنه بعد الصدمة الأولى حين أفاق مدركا نفي ما وجد النفس معه فبنى الكلام على الغيبة[64].

ثم عدل عن مقام الإخبار والغيبة إلى التكلم في البيت الثالث على الترتيب، في لفظ (جاءَني) بدل (جاءه) قياسا على (باتَ)، "فعدل عنه دلالته عل أن جميع ذلك إنما كان لأمر يخصه (أي يخص الشاعر لا غير)، ولم يتعداه إلى سواء. و(خبرته) لا إلتفات فيه لأنه على قياس (جاءني) فلو خالفه لكان ذلك"[65].

إلا أن الخطيب القزويني في الإيضاح كان له رأي آخر يقول فيه:"... وإذ قد حصل الانتقال من الخطاب في البيت الأول إلى الغيبة في الثاني لم يبق الخطاب حاصلا متلبسا به، فيكون الانتقال إلى التكلم في الثالث من الغيبة وحدها"[66].

ويبدو لنا أن الخطيب إعتمد في تصوره على كون الإلتفات يحصل ويقع على أساس مسلك واحد دون أن يتعد ذلك إلى مسلك ثالث، فهذا التصور لم يستند على دليل لغوي ثابت، فبنية هذا النص الشعري بإعتبارها وحدة لغوية تشترك في جملة من الروابط والشروط كالاتساق والانسجام، وحالة منسجمة في النظام من التشاكل والتماثل على مختلف المستويات التكوينية والصرفية والصوتية والدلالية، فحتى وإن إعتبرنا أن الإلتفات مخالفة وخروج على المقتضى الظاهر، إلا أنه يعتبر قانون لغوي معمول به وعادة ألفتها اللغة في عرفها وأصلها، مع ذلك لا يمكن الجزم أن هناك فصل في سياق البيت الأول والثاني عن الثالث أو الثاني والثالث عن الأول على إعتبار أن هناك نمط أسلوبي متغير. فالالتفات في حد ذاته أسلوب يحافظ على بنية النص ووحدته الدلالية حتى وإن غاب ذلك على مستوى البنية السطحية فإنه متضمن على مستوى البنية العميقة والقصد البلاغي التي كان الشاعر بإزاء إيصاله للمتلقي.

ولعل خير ما نستدل به على رأينا ما ورد في الخطاب القرآني من صور هذا الإنتقال والتنوع بين مقامات الإلتفات، والمحافظة على بنية النص ووحدته الدلالية في مستهل سورة الإسراء، ونقف عليها وقفة تدبر وتأمل، وذلك في قوله (جل جلاله): ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[67].

فنلاحظ هاهنا تغيير في الأسلوب وإنتقال من الغيبة في اسم الموصول (الَّذِي) وضميريه في (أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ) إلى أسلوب التكلم في لفظ (بَارَكْنَا) وفي قوله (لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا) وهو سلوك ألفته العرب على طريقة الالتفات المتبعة كثيرا في نظم الشعراء وفي كلام البلغاء وفي هذه الآية الكريمة يوحي لنا أسلوب الإلتفات بجملة من اللطائف التي إجتمعت في هذا النص القرآني يذكر منها ابن عاشور في تفسيره:

أ – أنه لما استحضرت الذات العلية بجملة التسبيح، وجملة الموصولية صار مقام الغيبة مقام مشاهدة فناسب أن يغير الإضمار إلى ضمائر المشاهدة، وهو مقام التكلم.

ب – منها الإيماء إلى أن النبي (صلى الله عليه وسلم) عند حلوله بالمسجد الأقصى قد انتقل من مقام الاستدلال على عالم الغيب إلى مقام مصيره في عالم المحسوس والمشاهدة.

ج – ومنها التوطئة والتمهيد إلى محمل معاد الضمير في قوله (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) ، فيتبادر عود ذلك الضمير إلى غير من عاد إليه ضمير (نريه)، لأن الشأن تناسق الضمائر، ولأن العود إلى الالتفات بالقرب ليس من الأحسن[68].

فقد كانت هذه اللطائف بمثابة أغراض بلاغية وراء القصد من ألوان الإلتفات في الآية الكريمة، ولعل الإشارة الأخيرة التي أشار إليها ابن عاشور كون العود إلى الإلتفات بالقرب ليس من الأحسن، كان القصد منها أنه عند الانتقال مرة ثانية من التكلم إلى الغيبة في قوله: (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) كان الأظهر أن الضميرين عائدان إلى النبيء (صلى الله عليه وسلم)، لاختلاف المفسرين حول عودة الضمير هاهنا، لله تبارك وتعالى أم إلى النبيء (صلى الله عليه وسلم)؟

ومرجعية الضمير الأخيرة هذه جعلت المفسرين يختلفون في تحديد عدد وجوه الإلتفات في هذا الشاهد، فمنهم من يرى أن في هذا الخطاب **إلتفاتان**: من الغيبة في قوله: (الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ) إلى التكلم في (بَارَكْنَا) و(نريه)، ثم إلتفت إلى الغيبة في قوله: (إِنَّهُ هُوَ) أعدنا الضمير على الله تعالى وهو الصحيح، ففي الخطاب إلتفاتان بإعتبار مقامي الغيبة والتكلم[69].

وبإعتبار قراءة الحسن في قوله: (ليريه) بالياء، أي: الله (جل جلاله)، يكون لدينا في هذه الآية **أربعة التفاتات**: وذلك أنه إلتفت أولا: من الغيبة في قوله: (الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ) إلى التكلم في قوله: (بَارَكْنَا)، ثم إلتفت ثانيا من التكلم في (بَارَكْنَا) إلى الغيبة في (ليريه) على هذه القراءة، ثم إلتفت ثالثا: بالياء من هذه الغيبة إلى التكلم في (آيَاتِنَا): ورابعا من هذا التكلم إلى الغيبة في قوله: (إِنَّهُ هُوَ) على الصحيح في الضمير أنه لله[70].

وأما على قول نقله أبو البقاء أن الضمير في (إِنَّهُ هُوَ) النبيء (صلى الله عليه وسلم)، فلا يجيء ذلك، ويكون في قراءة العامة **إلتفات واحد**، وفي قراءة الحسن **ثلاثة**، وهذا موضع غريب. ولو ادعى مدع أن فيها خمسة إلتفاتات لاحتاج في دفعه إلى دليل واضح. **والخامس**: الإلتفات من الغيبة في قوله (إِنَّهُ هُوَ) إلى التكلم في قوله: (وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ)[71].

وعن القصد البلاغي كذلك من وراء تقدير كون الضمير المنفصل (هو) للنبي (صلى الله عليه وسلم) في قوله (جل جلاله): (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) يقول أبو السعود: "فذلك لأقواله عليه الصلاة والسلام بلا أذن، ولفظ (الْبَصِيرُ) فذلك بأفعاله بلا بصر حسبما يؤذن به القصر، فيكرمه، ويقربه بحسب ذلك. وفيه إيماء إلى أن الإسراء المذكور ليس إلا لتكرمته عليه الصلاة والسلام، ورفع منزلته، وإلا فالإحاطة بأقواله، وأفعاله حاصلة من غير حاجة إلى التقريب، والإلتفات إلى الغيبة لتربية المهابة" [72].

والملاحظ فيما هاهنا عن الإلتفات في الشطر الأخير من الآية الكريمة ورغم إختلاف بعض المفسرين وإتفاق جلهم على أن عودة الضمير (هو) للنبي (صلى الله عليه وسلم) هو تكريم وتشريف له وهو المستأهل له، فإنه السميع لأوامر ونواهي الله تبارك

وتعالى، والبصير بالبصر والبصيرة الذي ينظر بنظرة العبرة في ملكوت الله ومخلوقاته فيتدبر ويعتبر، أو البصير بالآيات التي أراه الله إياها، كما شرفه الله وكرمه بها في قوله (جل جلاله):﴿ **مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ**﴾[73]. وكل ذلك كان من خلال ضرب من النظم المحكم والنسيج المتقن الذي لا يكشف فقط عن ظاهرة الإلتفات وأسرارها بل عن ظاهرةِ الإعجاز للقرآن الكريم ككل.

وفي آخر المطاف وصلنا إلى جملة من النتائج نذكر منها :

1 . ظاهرة الخروج عن مقتضى الحال (الالتفات) ظاهرة بلاغية ونحوية وأسلوبية تظهر في أروع صورها الفنية وتعبيراتها الجمالية في الخطاب القرآني، مما حققه من إعجاز وإيجاز في العبارة، ضمن نسيج فريد ونظم عتيد والأسلوب يحث المتلقي على المتابعة والتفكر والتدبر في سر هذا الانتقال في بين الضمائر والخروج عن المقتضى الظاهر للغة وقواعدها.

2 . الإلتفات بالضمائر ليس من قبيل الاعتباط ولكن لغرض مقصود ينطوي على تسويق دلالي، تتجسد من خلاله حركية نامية داخل النص، وترسم في نسيجه قيمة تعبيرية وجمالية، خاصة في الخطاب القرآني، فينتج عن هذا ما يعرف بجماليات التلقي في إثارة لذهن المتلقي نحو استنباط المعنى المراد وإنفتاح دلالي غير المحدود للنص.

3 . الإلتفات ليس فقط نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر ولكنه إنزياح وتغيير على مستوى بنية الجملة يهدف إلى غاية معنوية أكبر هي التأثير في المتلقي وإستدرارا له بجذبه وإثارة إنتباهه وصيانة لخاطره من الملل والضجر بدوام أسلوب واحد ومقام ضمير واحد، فتارة يجعله تاء على جهة الإخبار عن نفسه، وتارة يجعله كافا فيجعل نفسه مخاطبا، وتارة يجعله هاء فيقيم نفسه مقام الغائب، وهكذا الشأن بالنسبة لبقيت مقامات الضمائر الأخرى.

الهوامش:

1 . أنظر، الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها فنونها، دار القلم، دمشق، ط1، 1996م، ج1، ص479.

2 . الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث للنشر ،ط1 ، 2008م ، 314/3.

3 . ينظر، جلا ل الدين السيوطي ،الإتقان في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، 2009م، 2/ 420 .

4 . أنظر، شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط9، 1965م، ص 30.

5 . عبد الفتاح لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي، ط1، 2003م، ص 260.

6 . أنظر، أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي – محمد أبو الفضل إبراهيم، دار عيسى البابي الحلبي للنشر، ط1، 1371 – 1952م، ص:438 . والبشام شجر ذو ساق وأفنان .

7 . نفسه ونفس الصفحة، والأراك مكان ينبت فيه شجر الأراك، والأيك الشجر الملتف، والغلل المكان الخصيب الذي يجود بالغلة . والرواية نفسها ذكرها ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة، تح د . مفيد محمد قميحة، ص 276. الذي نسب الرواية إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي .

8 . الكشاف 10/1، وأنظر مفتاح العلوم 877/86.

9 . ينظر، القرطاجاني أبو الحسن حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب ابن خوجة، دار الكتب الشرقية، ص 348، والبرهان في علوم القرآن 3/ 314، والتبيان في علم البيان: 174.

10 . ينظر، عز الدين إسماعيل، جماليات الالتفات، قراءة جديدة لتراثنا النقدي، النادي الأدبي، جدة، ط1، 1410ه/1990م، ص 905.

11 . مصطفى شريقن، أسلوب الإلتفات في القرآن الكريم وأسراره، دار الخلدونية للنشر والتوزيع ط1، 2009م، 1430ه، ص66. وتسمية هذا الأسلوب بالشجاعة العربية فترجع إلى ابن جني حيث يقول: " وإنما سمي بذلك لأن الشجاعة هي الإقدام، وذلك أن الرجل الشجاع يركب ما لا

يستطيعه غيره، ويتورد ما لا يتورده سواه وكذلك هذا الإلتفات في الكلام"، أنظر المصدر نفسه ص 104 نقلا عن ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر تح :أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة. القاهرة، ص 171.

12. أنظر ديوان ربيعة بن مقروم الضبي، تح تماضر عبد القادر فياض خرفوش، دار صادر، لبنان، بيروت، ط1، 1999 م، ص 207.

1313. يس، الاية 22 .

14. محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ط3، 2009م، 368/23

15. الكشاف، 319/3.

16. أنظر، شريقن مصطفى ، أسلوب الإلتفات في القرآن وأسراره، ص 158.

17. الأنعام، الآيتين 72/71 .

18. أنظر، الدر المصون الجزء 4، ص 687 وما بعدها.

19. ينظر، أسلوب الإلتفات في القرآن وأسراره، ص 162، نقلا عن غرائب القرآن للزجاج، مج 4/ ج7/ ص 133.

20 . ينظر، المسعودي أبو الحسن على بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: أسعد داغر، دار الهجرة – قم، 1409هـ .، 407/1.

21. ابن رشيق القيراوني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تحقيق : محي الدين عبد الحميد ، عبد الحميد. دار النشر: دار الجيل، بيروت ، ط5، 1981م، 2 /72، 73.

22. البقرة، الاية 245.

23. السمين الحلبي ، تفسير الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المحقق : أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، ط3، 2006م، 617/9.

24. الكهف ، الايات من 79 إلى 82.

25 . ينظر، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)، دار المصحف – مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد – القاهرة 239/5.

26. أنظر، البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 291/3

27. أسلوب الإلتفات في القرآن الكريم وأسراره ص 165، نقلا عن البرهان للزركشي 16/4.

28. أنظر ديوان علقمة الفحل بشرح الأعلم الشنتمري، تح: لطفي الصقال ودرية الخطيب، دار الكتاب العربي، حلب،ط1،1969م، ص 107.

29 . ينظر، القزويني الخطيب محمد جلال الدين، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، 1424 هـ – 2003م، ص 88/2.

30. هود، الآية 90.

31. التحرير والتنوير 147/13

32. الصافات، الآية 31.

33 . ينظر التحرير والتنوير 104/24. والبيت للنابغة الذبياني الذي عجزه: له من عدو مثل ذلك شافع، أنظر ديوانه، شرح وضبط عمر فاروق الطباع، دار القلم، بيروت / لبنان، ص 85.

34. الصافات، الآية 23. أنظر نفس المرجع السابق 105/24.

35. أنظر أسلوب الإلتفات، ص 173، نقلا عن الكشاف، 339/3، والبيت لشاعر مجهول، وجيء به شاهدا للعدول والإلتفات من الخطاب إلى التكلم، فكان مسار الكلام وحكاية قولها، وهي هوازان (إسم إمرأة): قل مالك، أنظر البحر المحيط 357/7، والدر المصون 546/4. واللباب في علوم الكتاب، ص 296.

36. المؤمنون، الآية 53/52.

37. الأنبياء، الآية 93/92.
38. الكشاف 583/2
39. التحرير والتنوير 142,141/18
40. الحجرات، الآية 7.
41. الأحزاب ، الآية 50.
42. ينظر، الكشاف 82/5
43. أنظر، شرح ديوان عنترة، تح: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، ط1، 1412 – 1992م، 188/187، وأبوعبيدة: 28/1، 29.
44. خفاف بن ندبة (20 هـ / 640 م) هو خفاف بن ندبة بن عمير بن الحارث بن عمرو (الشريد) بن قيس بن عيلان السلمي. اشتهر بالنسبة إلى أمه ندبة بنت شيطان، وكانت سوداء سباها الحارث بن الشريد حين أغار على بني الحارث بن كعب، فوهبها لابنه عمير فولدت له خفافاً. وهو من فرسان العرب المعدودين، يُكنى أبا حُراشَة، أدرك الإسلام فأسلم وشهد فتح مكة وغزوة حنين والطائف، ومدح أبو بكر، وكان أحد أغربة العرب، وهو ابن عم الخنساء الشاعرة. ذكره ابن عبد ربه الأندلسي صاحب العقد الفريد، ص 29/6.
45. الأعراف، الاية 57.
46. أسلوب الإلتفات في القرآن الكريم وأسراره، ص 185.
47. فصلت، الآية 12
48. تفسير أبو السعود 7/8
49. التحرير والتنوير 251/25
50. ضياء الدين ابن الأثير ابن أبي حديد، المثل السائر، دار النهضة ، مصر ، ط5، 2005م ص 166.
51. نفسه، 183/2.
52. أنظر،ا بن أحمد الزوزني أبو عبد الله، شرح المعلقات السبع: دار مكتبة الحياة ، ط3، 2009م ، ص153.
53. المصدر نفسه ص 173.
54. الفاتحة ، من الآية 2 إلى 4 .
55. نفسها، من الآية 5 إلى 7.
56. عثمان ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ص 146/1.
57. أسلوب الالتفات في القرآن الكريم وأسراره، ص 194.
58. المدثر، من الآية 38 إلى 42 .
59. أنظر، الالتفات في القرآن الكريم وأسراره، ص 196.
60. التحرير والتنوير 30/325.
61. الكشاف 262/6.
62. أنظر، ديوان امرئ القيس، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط4، 1984م ص 185 . وخزانة الأدب 1/ 289
63. ينظر، البابرتي أكمل الدين محمد بن أحمد، كتاب شرح التلخيص، تح محمد مصطفى رمضان صوفيه، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس ليبيا، ط1، 1983م، ص 255
64. نفسه، ص 256.
65. نفسه، ونفس الصفحة .
66. الإيضاح، ص 77/76.
67. الإسراء، الآية 1

68. التحرير والتنوير 16 /21،22
69. ينظر، تفسير الكشاف 493/3. و تفسير البيضوي 248/3.
70. ينظر، تفسير الدر المصون 307/7.
71. نفسه ونفس الصفحة .
72. تفسير أبو السعود 155/5.
73. النجم، الآيتان 18/17.